



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

قسم اللغة والأدب العربي
المرجع:

معهد الآداب واللغات

أصول المقام ودلالته في الفكر البلاغي (مفتاح العلوم للسكاكي نموذجاً)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات تطبيقية

إشراف الأستاذ:
الدكتور: فاتح مرزوق

إعداد الطالبين:
* نسيبة بن قريط
* نسرين مساط
* خولة معروكة

السنة الجامعية: 2021 / 2022

CORONAVIRUS
COVID-19



شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أهدى اليكم معروفًا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له)

وعملًا بهذا الحديث واعترافًا بالجميل نحمد الله عز وجل ونشكره على ان وفقا لإتمام هذا العمل.

ونتقدم بجزيل الشكر الى الأستاذ المشرف الدكتور: (فاتح مرزوق بن علي) على كل ما قدمه من دعم وتوجيهات، ونصائح قيمة طيلة مرافقته لنا في هذا البحث وكل الامتنان والتقدير على مجهوداته راجين من الله عز وجل ان يسدد خطاه ويحقق مناه فجزاه الله عنا كل خير.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الى جميع الأساتذة والأسرة القائمة على معهد الآداب واللغات وكل من دعمنا في انجاز هذا البحث المتواضع.

إهداء

الحمد لله وكفي والصلاة على النبي الذي اصطفى وأهله ومن وفى:
بمناسبة تخرّجي أهدي هذا العمل إلى القلب الحنون (أمّي)؛
إلى بطلي الوحيد واستقامة ظهري (أبي) سندي؛
إلى إخوتي، الحبّ المملوء بالشّغب الجميل؛
إلى الحبّ الذي لا يغيب إلى جدّي الحبيب -رحمه الله-؛
إلى عزيز النّفس، خليل القلب؛
إلى كلّ من علّمني حرفاً طوال مسيرتي الدّراسيّة؛
إلى أصدقائي وكلّ من ساندني؛
كما أخصّ بالذكر أستاذي المشرف الدّكتور (فاتح مرزوق بن علي) إنّ قلت
شكراً فشكري لن يوفيكم حقّاً، سعيتم فكان السّعي مشكوراً، إنّ جفّ حبري عن
التّعبير يكتبكم قلب به صفاء الحبّ تعبيراً.

نسيبة بن قريط

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات بعد مسيرة دراسيّة حملت في طيّاتها
الكثير من الصّعوبات والمشقّة والتعب اليوم تقطف ثمارها .
الحمد لله أهدي أحرف ذاكرتي إلى:
أُملي في الحياة وسرّ نجاحي أُمّي الغالية أدامها الله؛
إلى أبي الذي علمني كيف أمسك بالقلم -حفظه الله-
إلى رُحي جدّي الغالي -رحمه الله- وجدّتي أطل الله في عمرها؛
إلى إخوتي حفظهم الله؛
إلى عمّاتي وخالتي الوحيدة وكلّ من ساندني ، ووقفوا بجاني ومن أسهم في
تلقيني ولو حرفاً في حياتي الدّراسيّة؛
ولا أنسى إهدائي لأستاذي الدّكتور (فاتح مرزوق بن علي) الذي أَدعمني من
بداءة البحث إلى نهايته.

مسطا نسرین

إهداء

ما أجمل أن يجود المرء بأغلى ما لديه، والأجمل أن يهدي الغالي للأغلى
هذه هي ثمرة جهدي أجنيتها اليوم هدية أهديتها إلى:
أمي الغالية شفاها الله وأطال في عمرها ومدّها بالصّحة والعافية وجعلها
سنداً لي في كل أموري؛
وإلى أعزّ ما فقدت (أبي) الغالي -رحمه الله- وأسكنه فسيح جنانه؛
إلى جميع أخواتي وإخوتي، وكلّ عائلتي فرداً فرداً وأصدقائي؛
ولا أنسى إهدائي لأستاذي الدكتور (فاتح مرزوق بن علي) الذي أَدْعَمَنِي
من بداءة البحث إلى نهايته.
وإلى كلّ من ساندي ومدّ لي يد العون في مشواري الدّراسي.

مهروكة خولة

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على المصطفى سيدنا خاتم النبيين وإمام المرسلين. وأما بعد:

فنسمع كثيرا أن القرآن الكريم بالإضافة إلى كونه كتابا ينظم حياة الناس وفق الشريعة الإسلامية، جاء متحديا العرب أهل اللغة أنفسهم أن يأتوا بكلام أو سورة أو آية مثل الذي في هذا الكتاب العظيم، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك، فاستسلموا وقالوا أن هذا كلام الله المعجزة، أي الذي لا يستطيع أحد من البشر مهما كان أن يأتي بمثله، فجاءت البلاغة لفهم نصوص القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

علم البلاغة فن من الفنون يعتمد على دقة وإدراك الجمال والاستعداد الفطري قبل كل شيء، والانتباه إلى الفروق الخفية بين مختلف الأساليب، وهي تأدية المعنى الجليل بشكل واضح من خلال عبارات فصيحة صحيحة تقع في النفس موقعا خلايا على أن يلائم الكلام المواطن التي يقال فيها ومن يخاطبهم من أشخاص، لذلك يمكن القول أن عناصر البلاغة هي لفظ ومعنى وتأليف للألفاظ يمنحها تأثيرا وحسنا وقوة، وأيضا دقة اختيار الكلمات والأساليب بما يناسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحالة السامعين والنزعة النفسية التي تسيطر عليهم وتتملك نفوسهم، وأحيانا قد تكون كلمة ما حسنة في مواطن ومستكرهة في مواطن أخرى، فإذا أراد شخص ما أن يطلب طلبا وكان غافلا في علم البلاغة فإنه يخلّ بطلبه ويفرط في التماسه، والبلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلا بد فيه من التفكير في المعاني الصادقة القيمة القوية المبتكرة، منسقة حسنة التركيب مع توخي الدقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام وموقعه وموضوعاته وحال من يكتب لهم أو يلقي عليهم، ويعدّ المقام مصطلحا عاما أو بؤريا تتضوي تحته مجموعة من المصطلحات الفرعية التي تتصافر كلها لتشكل في مجموعها المقام في مفهومه العام، ولا غرابة في أن العرب القدماء اشتغلوا به في العديد من المجالات البلاغية وغيرها.



ويرجع السبب في اختيار موضوع البحث في أكثر الأوقات إلى الحاجة لحل مشكلة معينة، وذلك من خلال عملية جمع المعلومات والبيانات اللازمة والخاصة بهذه المشكلة وتحليلها واستخراج النتائج بشكل دقيق منها والتي تؤدي إلى استخلاص حل لتلك المشكلة، لذا فقد أتى اختيارنا لهذا الموضوع البحث في البلاغة العربية وكل ما يتعلق بها، وإثبات الخصوصية المشتركة بين البلاغة وأصول المقام في الفكر البلاغي والرغبة الملحة في توضيح بعض النقاط وتطوير حقيقة تم التوصل إليها مسبقاً، لهذا السبب طرحت العديد من الأسئلة من بينها:

كيف نظر البلاغيون للمقام؟

وما هي أسسه عند الإمام السكاكي ؟

واقترضى البحث أن يكون في مدخل وفصلين، وخاتمة تضمنت الإجابة عن الإشكالية التي يطرحها البحث، حيث تضمنت المقدمة تعريفاً عاماً لموضوعنا وأسباب اختياره، والإشكالية المطروحة وبنية البحث وأهم المصادر المستندة إليها في بناء متنه والصعوبات التي اعترضتنا في تناوله لغرض مفهوم البلاغة والمقام والروافد التي قامت على أساسها، أما الفصل الأول فقد تطرقنا فيه إلى ضبط المفاهيم وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول بعنوان ماهية علم البلاغة ويحتوي على ثلاثة مطالب، أولها تعريف البلاغة لغة واصطلاحاً، وقد تعددت تعريفات هذه الأخيرة واختلفت من عصر لآخر ومن باحث لآخر، وهم البلاغيون القدامى وبعض المحدثين وبعض الغربيين، ثم المطلب الثاني الذي يتحدث عن نشأة البلاغة وتطورها؛ حيث مرت هذه الأخيرة على ثلاث مراحل: مرحلة النشأة على هامش العلوم الأخرى، أي أنها كانت عبارة عن ملاحظات منتشرة بجانب العلوم التي سبقتها من نحو ونقد وما إلى ذلك، ثم مرحلة التكامل المشترك والتي أخذت الملاحظات المتناثرة تنمو وتتضح وتلتئم في ثانيا الكتب لتكون فصلاً كاملاً، أما المرحلة الثالثة فهي المرحلة الأخيرة، فيها تطورت واستقرت وأصبحت لها مؤلفاتها الخاصة، ثم المطلب الثالث ويحتوي على علوم البلاغة العربية، وهي ثلاث : علم البيان، علم البديع، وعلم المعاني، ولكل منهم فروع متعددة اختلفت في مصادر البلاغة ومراجعها من باحث لآخر.

في المبحث الثاني تطرقنا إلى ماهية علم البلاغة في الفكر البلاغي، ويضم ثلاثة مطالب أولها التعريف بعلم المعاني لغة واصطلاحاً، وهو علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفي المطلب الثاني ذكرنا نشأة علم المعاني عند علماء البلاغة، والمطلب الثالث تناولنا قضايا علم المعاني وأثر عبد القاهر الجرجاني فيه، بحكم أنه واضح هذا العلم وأصوله ومؤسسه في العربية، ويذكر أن لم يحدث بعده تغيير يذكر في هذا العلم، وجاء بعدها المبحث الثالث المعنون بـ ماهية المقام وأصوله في الفكر البلاغي، أولاً تم التعريف بالمقام في اللغة والاصطلاح، وثانياً مرادفات مصطلح المقام عند البلاغيين، وفي المطلب الثالث المقام عند علماء البلاغة وقضاياها: التقديم والتأخير

ثم يأتي الفصل الثاني تحت عنوان مفهوم المقام عن السكاكي من خلال كتابه مفتاح العلوم، أولاً ترجمة للإمام السكاكي (حياته ونسبه ...)، ثانياً: علم المعاني عنده، وثالثاً: أصول المقام عند السكاكي

وقد أتى بحثنا هذا ليضيف لمسة أخرى ألا وهي بيان دلالة المقام عند علماء البلاغة وبخاصة عند السكاكي، حيث استندنا في بنائه على المنهج الوصفي التحليلي والذي يعتمد على وصف الظاهرة اللغوية.

واعتمدنا في ذلك على مصاد ومراجع متفرقة كان أهمها:

- كتاب البلاغة عند السكاكي "ترجمة أحمد مطلوب"؛

- كتاب البلاغة العربية القديمة؛

- عبد القاهر الجرجاني والنحو البلاغي؛

- كتاب المنجز البلاغي والنفدي للسكاكي؛

كما صادفتنا بعض الصعوبات أثناء انجاز هذا البحث التي حاولنا جاهدين تخطيها، أولها ضعف القدرات الإحصائية لدينا، وكثرة المادة المعرفية وعدم التجكّم في الأفكار، وأيضا عدم توفر الكتب والمجلات في المكتبة الجامعية.

في الختام لا يسعنا القول أننا لا ندعي الكمال والتمام في هذا البحث، بل بادرة من بوارد فتح باب العلم والمعرفة، كما نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف الدكتور فاتح مرزوق بن علي الذي دعمنا بالنصح والتوجيه والمتابعة، حتى يكون البحث نيراً

ومفيدا، فنقول له بوركنت أستاذنا الكريم، حفظك الله ورعاك ودمت لنا فخرا وللعلم
دخرا، ولا يسعنا إلا أن نسأل الله التوفيق والسداد لما نصبوا إليه، وأن يغفر زلاتنا
وأخطائنا، والله المستعان.

الفصل التمهيدي:

تحديد المفاهيم

المبحث الأول: ماهية علم البلاغة

المطلب الأول: تعريف البلاغة لغة واصطلاحاً

1- لغة: البلاغة في اللغة 'الوصول والانتهاء'، يقال بلغ فلان مراده، إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة، إذا انتهى إليها¹ وبلغ الشيء منتهاه.

البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون والبلاغة مأخوذة من قولهم، بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وسميت البلاغة بلاغة لأنك تبلغ بها وتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغة أيضاً، ويقال: الدنيا بلاغ لأنها تؤذك إلى الآخرة والبلاغ أيضاً التبليغ ومنه هذا بلاغ للناس، أي تبليغ ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً، كما يقال نبل الرحالة نبالة إذا صار نبيلاً.²

2- اصطلاحاً: هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكتابة على وجهها، ولها أعنى البلاغة طرفان: أعلى وأسفل، متباينان تبايناً لا يتراءى له نارهما، وبينهما مراتب تكاد تغوت الحصر متفاوتة، فمن الأسفل تبتدئ الباعة، وهو القدر الذي ذا نقص منه شيء التحقق ذلك الكلام بما شبهناه به في صدر الكتاب من أصوات الحيوانات، ثم تأخذ في التزايد متصاعدة إلى أن تبلغ حداً للإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحه، ومدر ك الإعجاز عندي هو: الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق: طول خدمة هذين العلمين.

¹ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة المعاني والبيان والبدیع، تج يوسف صيلي، ط1، بيروت، 1999،

المكتبة العصرية، ص40

² نفسه، ص40

نعم للبلاغة "وجوه ملتئمة، ربما تيسرت إمطة اللئام عنها، لتجلي عليك أما نفس وجه الإعجاز فلا"¹ وهي كذلك: "مطابقة الكلام المقتضي الحال مع فصاحته"²

المطلب الثاني: نشأة البلاغة وتطورها

أولاً: البلاغة في العصر الجاهلي

يبدأ العصر الجاهلي باستقلال العدنانيين عن اليمنيين في منتصف القرن الخامس للميلاد، وينتهي بظهور الإسلام سنة 622 م وأهم ما نلاحظه في ذلك العصر من أمور ذات صلة بالبلاغة الآتي :

1-العرب أمة الفصاحة والبيان، يحبون الكلمة الجميلة والصوت والأداء الجميلين وينفعلون بالخطبة الجميلة ويطربون للكلمة الشعرية، وهم قوم لداً، قال تعالى " فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر قوما لدا" (مريم 97) وهم أهم الخصام وجدل، قال تعالى: " وقالوا آلأهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون" (الزخرف58)

وقد أثر فيهم القرآن فحاولوا نسب ذلك التأثير إلى غير سببه الأصلي وه أنه من عند الله فزعموا أن بشرا أعجميا يلمّ محمدا القرآن، متناسين فصاحة القرآن التي لم يقدر عليه العرب، فكيف برجل أعجمي!، قال تعالى: " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين" (النحل 103)

2-قامت عدة حضارات في اليمن وعمان وأطراف الجزيرة العربية، ولم يكن للعرب دولة مركزية وسط الجزيرة، فقد كانوا يعيشون حياة بدائية لا شغل لهم سوى تعاطي الشعر والتفاخر بالبيان¹.

¹مفتاح العلوم، الإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، ط1، درا الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983م، ص415

²مباحث في البلاغة، دار إعجاز القرآن، محمد رفعت أحمد زنجير، ط1، 1428هـ، 2007م، ص25

3- كان لتلك المصطلحات دور كبير في تطوير العملية الشعرية وذلك لأن هذه المصطلحات المختلفة التي كان يتقيد بها الشعر الجاهلي تجعلنا نؤمن بأنه لم يكن حرًا في صناعة شعره بصنفه كما يريد، فإن حرّيته كانت معطلة إلى حد ما، إذ كان يخضع لتقاليد تتناول ما يقوله.

4- ويلخص الأستاذ حمادي صمود دور الملاحظات البلاغية والنقدية في العصر الجاهلي في تكوين نواة البحث البلاغي عند العرب، فيقول وقد احتفظت المصادر بجملة من الأخبار عن هذه الفترة، تتضمن ملاحظات تمثل رغم تواضعها اللبنة الأولى في العمل النقدي والبلاغي، وتشير إلى بداية الاهتمام بقضية الصياغة. وقد بدت لنا هذه الأخبار متفاوتة القيمة رغم انتمائها إلى عصر واحد، فرأينا أن نقسمها لثلاثة أقسام بحسب أهميتها في موضوع بحثنا:

يقوم القسم الأول منها في نطاق المفاضلة بين شاعر وآخر على مجرد الانطباع، ويقوم التعليل فيها إن وجد على² عناصر لا تتعلق بالشعر نفسه، حتى وإن تعلقت به فلا يعدوا ذلك الصيغة اللغوية المستعملة بعيدا³ ن كل تصور للفن الشعري والصورة الأدبية.

أما القسم الثاني: فجملة أخبار تدل على تفضيل الشعراء إلى ضرورة تعهد الصياغة الفنية الشعر وتصنيفه حتى يكون الكلام ذا طابع مميز، وفي هذا وعي غامض لا محالة لأهمية عنصر الاختيار في العمل الشعري. وتتجاوز لمقولة الفطرة والسليقة في الأدب العربي وإقرار ضمني بتفاضل الكلام في الفصاحة وأول مظهر من مظاهر المعاناة في الأدب والفن، ويبدو أن زهير بن أبي سلمى كان رأس هذا المذهب وزعيمه³.

¹ محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن، دتح، ط1، 2007، ص32

² نفسه، ص 33.

³ نفسه، ص 33.

أما القسم الثالث: من هذه الروايات: فهو أكثرها صراحة في الانتساب إلى المباحث البلاغية، وأعمقها دلالة على إدراكهم لخصائص الشعر التي تقوم أساساً على القدرة على الصياغة الصورة الفنية وإن كان ذلك لم يتجاوز في علمنا التشبيه، وهو أقرب درجات التصوير الفني وأكثرها انتشاراً في الشعر العربي.

ثانياً : البلاغة في العصر الإسلامي:

يبتدئ هذا العصر منذ ظهور الإسلام إلى نهاية سنة (40هـ) حيث قتل أحد الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في رمضان من تلك السنة. وأهم ما يميز هذا العصر نزول القرآن الكريم وحبا من الله على نبيه محمد صل الله عليه وسلم، وقد أحدث القرآن أكبر ثورة في حياة العرب الدينية، والاجتماعية والسياسية والسبب الأول لتأثيره في العرب هو فصاحته وبلاغته فقد جاء القرآن " بلسان عربي مبين" [الشعراء: 195].

ونال الصفة العربية الملازمة له إلى يوم الدين، قال تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" [يوسف-2]

ومجيء القرآن باللغة العربية جعل الدين الحنيف يعزز من مكانتها فصارت لغة ذات دين سماوي يتعبد بها ويتقرب إلى الله تعالى، ولا تصح الصلاة إلا بها، قال القرطبي: "لا تجزئ صلاة من قرأ بالفارسية وهو يحسن العربية"

وقد ظن بعض الناس أن القرآن وقف ضد الشعر وهذا غير صحيح¹. فالقرآن أعطى دفعة قوية للبيان العربي، ونقله من المحلية إلى العالمية فكانت رسالته دعماً للفن الصادق فما هي حقيقة موقفه من الشعر والبيان".

¹ محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن، ص 38.

ثالثاً: البلاغة في العصر الأموي:

في البداية هذه نبذة تاريخية موجزة عن هذا العصر: يبدأ هذا العصر من سنة 41هـ ويمتد إلى سنة 132هـ وهو عصر الفتوحات وقيام نواة الحضارة العربية الإسلامية والخلفاء الذين حكموا هذه الدولة فرعان: الفرع السفيني والفرع المرواني، وأصبحت الخلافة وراثية في هذا البيت وقد انتشرت الفرق الدينية فكان هناك: السنة والشيعة والخوارج والمرجئة، وامتزج العرب في هذا العصر بالأمم الأجنبية وأطلق على من أسلم من غير من العرب: الموالي وأدى هذا الامتزاج إلى فشن اللحن وضعف السلائق العربية ولعب الاقتصاد وجباية الضرائب من الموالي دوراً في حياة تلك الدولة إلى أن حط عمر بن عبد العزيز الضرائب عن كل من أسلموا من الموالي وقد تأثر شعراء هذا العصر بالإسلام وتطور الغزل العذري، وانتشر شعر الحماسة كما اشتد لهيب الهجاء بتأثير العصبية القبلية وكانت هناك بعض الأحداث والفتن الداخلية وقد تأثرت الحضارة العربية الإسلامية وخاصة بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وخرسان والشام ومصر وغيرها¹

ازدهرت في هذا العصر الخطابة ازدهارا لكل العرب لم يعرفوه في أي عصر من عصورهم القديمة فقد كانوا أصحاب مواهب بيانية وعملت بواعث كثيرة على أن تتوهج هذه المواهب في الخطابة حينئذ.

اشتهر عدد من الخطباء في كل لون من ألوان الخطابة ففي السياسة اشتهر زياد والحجاج وفي زياد يقول الشعبي (ما سمعت متكلماً على منبر قط إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً فإنه كلما أكثر كان أجود كلاماً).

وقامت في هذا العصر الأسواق الأدبية فكان هناك سوق المربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة، مقام سوق عكاظ في الجاهلية بل لقد...² تحولاً إلى ما

¹ محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن، ص 47.

² نفسه، ص 48.

يشبه مسرحين كبيرين يغدوا عليها شعراء البلدتين ومن ينفد عليهما من البادية لينشدوا الناس خير ما صاغوه من أشعار واستطاع جرير والفرزدق أن يتطورا في سوق المربد بفن الهجاء القديم فإذا هو يصبح مناظرة واسعة في حقائق عشيرتي الشاعرين وحقائق قيس ونميم ويحاكيهما كثير من الشعراء ويجتمع لهم الناس يصفقون كلما مر بهم بيت نافذ الطعنة ويصيحون ويهتفون.

المطلب الثالث: علوم البلاغة العربية

علوم البلاغة ثلاثة هي علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني ولكل منهما فروع متعددة اختلفت في مراجع البلاغة ومصادرها من باحث لآخر.

1- علم المعاني: هو علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهو بالتالي الطريق الذي يجب أن يسلكها الأديب للوصول إلى هذه الغاية وهنا يتوجب على الأديب أن يخاطب كل مقام بما يفهم وإلا ضاعت الغاية وذهبت الفائدة¹

1-1 - يتألف علم المعاني من الأقسام الأتية:

أ- الإنشاء والخبر: إن الجملة الإنشائية هي الجملة التي لا يصح فيها التكذيب، أما الجملة الخبرية فهي الجملة التي يصح فيها التصديق والتكذيب.

ب- الإسناد: هو ضم كلمة أو ما يجرى مجراها إلى أخرى ليفيد بأن مفهوم أحدهما وهو المحكوم عليه ويسمى المحكوم به مسندا والمحكوم عليه مسندا إليه، ونسمي الشبه بينهما إسنادا²

ج- الإيجاز والإطناب والمساواة: أن كل المعاني التي يعبر عنها لفظا، يعبر عنها بإحدى هذه الطرق الثلاثة: الإيجاز أو الإطناب أو المساواة.

الإيجاز: هو تأدية، المعنى المراد بأقل عدد ممكن من الألفاظ.

¹ عرفان مطرجي، الجامع لفنون العربية والعروض الطبعة 1 مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، 1407-1987 ص 27.

² مزيد إسماعيل نعيم- علم المعاني - 1981-1982 جامعة دمشق صفحة 02.

المساواة: هي أن يكون اللفظ مساويا للمعنى دون زيادة أو نقصان.

الإطناب: هو التعبير عن المعنى بألفاظ زائدة عنه بقصد الفائدة.

د- الفصل والوصل:

الوصل: هو أن يقصد التشريك بين الجملتين في الحكم مع وجود جهة جامعة بينهما، ومن هذه الحالة يؤتى بالواو ليدل العطف على التشريك في الحكم الإعرابي¹

الفصل: فهو أن لا يقصد إشراك الجملة الثانية مع الجملة الأولى في حكم الإعراب، لذلك يتم الفصل بينهما.

2- علم البديع: يتألف علم البديع من الأقسام التالية:

أ- البديع اللفظي [المحسنات اللفظية]: وهي المحسنات التي تهدف إلى تحسين اللفظ.

ب- البديع المعنوي [المحسنات المعنوية]: وهي المحسنات التي تهدف إلى تحسين المعنى ولا بد من الإشارة إلى أن واضع هذا العلم هو عبد الله بن المعتز وإن تشعب هذا العلم كثيرا على أيدي البلاغيين الذين جاؤوا بعده، حتى بلغ الأمر عند أسامة بن منقذ في عام 584هـ إلى مائتين وخمسة وتسعين بابا²، بينما كان عند ابن المعتز ثمانية عشر لونا بديعيا فقط³

ومن أبرز أنواع البديع المعنوي: الطباق، المقابلة، التورية، وحسن التعليل، وتأكيذ المدح بما يشبه الدم، وتأكيذ الدم بما يشبه المدح وأسلوب الحكيم ومراعاة النظر والإرصاد والعكس والتبديل والمذهب الكلامي.

ومن أبرز أنواع البديع اللفظي: الجناس، السجع، التصريع ورد العجز على الصدر والاقتباس والتضمين.

¹ مزيد إسماعيل نعيم، علم المعاني، ص 46.

² عرفان مطرجي، الجامع لفنون العربية والعروض، ص 175.

³ منير سلطان، -البديع تأصيل وتحديد 1986 طبعة منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 14.

2-1- تعريفه "علم البديع": هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال، ووضوح دلالاته لخلوها من التعقيد المعنوي¹ أما إذا انطلقنا من الوظيفة التي يؤديها قلنا إن البديع هو أن يعمد الأديب عما في نفسه، بطريقة تفيد من طاقات الألفاظ في المعنى وفي الصورة أو في جرس الأصوات وإيحاءاتها².
فأما فوائد علم المعاني هي:

أ- معرفة إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خص الله به من جودة السبك وحسن الوصف وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سهولة التركيب، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه وسلامتها إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته، وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته.

ب- الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منشور كلام العرب ومنظومه كي تحتدي حذوه وتنسج على منواله، وتفرق بين جيد الكلام وردته. أما واضعه هو الشيخ عبد القادر الجرجاني المتوفي سنة 471هـ³

وقد عرفها السكاكي بقوله: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره"⁴

المبحث الثاني: ماهية البلاغة في الفكر البلاغي

المطلب الأول: نشأة علم المعاني عند علماء البلاغة

علم المعاني أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني، البيان، البديع، وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بل تحديد أو

¹ ابن المعتز - البديع - شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي 1945م، ص 18.

² محمد علي سلطاني، البلاغة العربية في فنونها، 1979م-1980، جامعة دمشق، ص 21.

³ نفسه، ص 47.

⁴ دكتور عبد العزيز عتيق علم المعان، ط 1، سنة 1430هـ، 2009م، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 28.

تميز. وكتب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك ففيها تتجاوز مسائل علوم البلاغة وتختلط بعضها ببعض من غير فصل بينها.

وشيئاً فشيئاً أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون بها منحى التخصص والاستقلال كما أخذت مسائل كل فن بلاغي تتبلور وتتلاحق واحدة بعد الأخرى. وظل الأمر كذلك حتى جاء "عبد القاهر الجرجاني" في القرن الخامس هجري 471هـ ووضع نظرية علم المعاني في كتابه "دلائل الإعجاز" ونظرية علم البيان في كتابه أسرار البلاغة، كما وضع ابن المعتز من قبله أساس علم البديع.

عبد القاهر الجرجاني إذن هو واضع أصول علمي المعاني والبيان ومؤسسهما في العربية، وقد جعل من مباحث كلا العلمين وحدة يمكن النظر فيها نظرة شاملة...¹

والعجيب أنه لم يحدث بعده تغيير يذكر في هذين العلمين لأنه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله كل القواعد البلاغية فيهما وكان كذلك إيذاناً بأن تتحول تلك القواعد من بعده إلى قوانين جامدة، وقد فتن البلاغيون بعلمه فراحوا يرددون كلامه ويقفون عنده لا يتجاوزونه إلى عمق أو ابتكار، كأنما البحث في البلاغة قد انتهى بعبد القاهر الجرجاني.

نقول ذلك لأن جهود البلاغيين من بعده انحصرت في جمع قواعد علوم البلاغة التي وضعها وفي ترتيب أبوابها واختصاراتها. وكان هذا الاختصار يصل أحيانا من الغموض والصعوبة إلى حيث يحتاج إلى شرح يوضح غامضه، ويدل صعبه فيقبل عليه الشراح، ومنهم من يتوسع في الشرح إلى الحد الذي يجعل الإمام بحقائق العلم أمراً عسيراً، وهكذا وصلت البلاغة نتيجة لذلك إلى أقصى ما يمكن من اختصارات وأقصى ما يمكن من شروح.

¹ عبد العزيز عتيق "علم المعاني"، ط1، بيروت، لبنان، 2009م، دار النهضة العربية، ص 25.

ومن أوائل من اتجهوا إلى الاختصار والتلخيص الفخر الرازي 606هـ في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، فقد اختصر في كتابي "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" لعبد القاهر وفي ذلك يقول: "لما وفقني الله لمطالعة كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة التقطت منهما معاهد فوائدهما، وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية"

وظهر بجانب الرازي وفي عالم ضرب بسهم وافر في الفلسفة والمنطق وأصول الفقه والاعتزال واللغة والبلاغة وكان له تأثير خطير على البلاغة العربية. ذلك العالم هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي المتوفي سنة 626هـ صاحب كتاب مفتاح العلوم الذي جعله أربعة أقسام قسم في علم الصرف، وقسم في علم النحو وقسم في علم البلاغة وقسم في علم الشعر¹ لقد سارت دراسة البلاغة قبل السكاكي على مناهج من عدم الفصل بين فنونها وذلك كان مسار الدراسات البلاغية قبل السكاكي: تنبيه إلى مواطن الحسن والجمال من الكلام وعلى العكس من ذلك كان منهجه فيها على أسس منطقية حولت البلاغة من فن إلى علم له قواعده ونظرياته التي إن نجحت في تكوين طبقات من البلاغيين فقد فشلت في تكوين البلغاء.

ومن هنا كانت خطورة منهج السكاكي الذي يعد في تاريخ البلاغة بداية طور الجمود في دراستها، لقد خيل إليه أنه بمنهجه المنظم المقنن يصلح من شأن البلاغة فإذا به من حيث لا يدري يفسدها ويسيء إليها.

وشهرة السكاكي في البلاغة مصدرها القسم الثالث من كتابه مفتاح العلوم فقد، أفرد هذا القسم من كتابه للكلام عن علمي المعاني والبيان ولواحقهما من البلاغة والفصاحة والمحسنات البديعية...²

¹ عبد العزيز عتيق "علم المعاني"، ص 26.

² نفسه، ص 27.

فمن خلال مجهودات البلاغيين من قبله وبخاصه عبد القاهر الجرجاني 471هـ، والزمخشري محمود بن عمر 538هـ، والفخر الرازي 606هـ.

استطاع السكاكي تحقيق أمرين: أحدهما أن ينفذ إلى عمل ملخص دقيق لما نشره أولئك البلاغيين في كتبهم من آراء، وكذلك لما توصل إليه هو من أفكار، وثانيهما أن يصوغ كل ذلك في صيغ مضبوطة محكمة، مستعينا فيها بقدرته المنطقية في التعليل والتعريف والتقسيم والتفريغ والتشعيب. وبهذا تحولت البلاغة في مفهومة أولا وتلخيص ثانيا إلى علم بأدق المعاني لكلمة علم، فهي عنده قوانين وقواعد صبت في قوالب منطقية جافة باعدت بينهما وبين وظيفتها الأساسية من إمتاع النفس وإرهاف الحس وتنمية الذوق.

وقد عرّف السكاكي علم المعاني بقوله: "إنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره يحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره".

وهذا التعريف وحده نموذج لتأليف السكاكي الذي أفرغه في أسلوب علمي منطقي بعيد كل البعد عن جلاء العبارة ووضوح التأليف عند من تقدمون من البلاغيين، فهو مثلا في هذا التعريف لا يقصد "بتراكيب الكلام" مطلق تراكيب وإنما يقصد تراكيب البلغاء لا التراكيب الصادرة عن لا حظ لهم من البلاغة وهو كذلك يقصد "بخواص التراكيب" ما يسبق إلى الفهم منها عند سماعها لكونها صادرة عن البليغ كما يقصد أيضا "بالإفادة" "الفهم" من قبل ذي الفطرة السليمة.

ويمكن حصر موضوعات علم المعاني التي وردت في القسم الثالث من كتاب مفتاح للسكاكي على النحو التالي:

- 1- الخبر والطلب؛
- 2- الاسناد الخبري باختلاف السامع من حيث خلو الذهن أو الشك، أو الإنكار؛

- 3- الإسناد، وبيان أحوال المسند إليه والمسند، من حيث: الحذف، الذكر، التكرير والتعريف، التقديم والتأخير، التخصيص والمقتضيات البلاغية لذلك؛
- 4- الفعل ومتعلقاته؛
- 5- الفصل والوصل؛
- 6- الإيجاز والإطناب، وبيان كيف أنهما نسبيان؛
- 7- القصر وأنواعه، وطرقه؛
- 8- الطلب؛

فتلك هي موضوعاته كما وردت في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي أو بمعنى أدق كما وردت في القسم الثالث منه والذي تكلم فيه عن علمي المعاني والبيان، ولواحقهما من البلاغة والفصاحة والمحسنات البديعية بنوعيهما اللفظي والمعنوي¹.

المطلب الثاني: قضايا المعاني

1-الخبر والإنشاء: الكلام إما خبر أو إنشاء، فالخبر: كلام يتحمل الصدق والكذب نحو قولك: هو الأمم بأسا، والجحر جودا، والسيف معنا، فقد تكون النسبة الكلامية المقصودة من هذه الجملة مطابقة لما في الخارج فيكون الخبر صادقا، أو غير مطابقة له فيكون الخبر كذبا والمخبر به كاذبًا.

والإنشاء هو الكلام الذي يتحمل الصدق والكذب نحو: جد في عملك، ونحو: ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا.

فأنت في المثال الأول تطلب من المخاطب الاجتهاد وفي المثال الثاني تتعجب من حسن الدين والدنيا مجتمعين. وليس الطلب والتعجب مما يحتمل صدقا ولا كذبا.

ولكل جملة ركنين:

¹ عبد العزيز عتيق "علم المعاني"، ص 30.

أ- محكوم عليه أو مخبر عنه، ويسمى (مسنداً عليه)، وذلك: كالفعل، ونائبه، والمبتدأ، الذي له خبر واسم أن وكان وأخواتها، والمفعول الأول من ظن وأخواتها.

ب- محكوم به أو مخبر به ويسمى (مسنداً) وذلك: كالفعل وخبر المبتدأ، وخبر كان وأخواتها، والمبتدأ المكتفي بمرفوعه، واسم الفعل.

وما زاد على ذلك فهو قيد في الجملة، كأدوات الشرط والنفي والنواسخ والمفعولات، والحال والتمييز، والتوابع وضمير الفصل.

فإذا قلته جلس صادق اليوم أمام الحديقة على الكرسي، كان "جلس، هو المسند، والصادق". هو المسند إليه، وما بعد ذلك من ظرفي الزمان والمكان والجار والمجرور قيوداً للجملة. وقس على ذلك¹.

المطلب الثالث: أثر عبد القاهر الجرجاني في قضايا علم المعاني

أما عبد القاهر الجرجاني فلم يعط تعريفاً محدداً لعلم المعاني لأن هذه المصطلحات الناجمة عن تقسيم البلاغة جاءت بعده لكنه عرض لجميع المباحث علم المعاني في كتابه دلائل الإعجاز عرضاً شاملاً بالتحليل والتطبيق وسأعرض بعض مباحث علم المعاني وأولها:

1- التقديم والتأخير: إلى نتيجة حتمية هي أننا لا نجد بلاغياً وقف وقفه متأنية عند هذه الظاهرة وكشف عن أسرارها البلاغية كعبد القاهر الجرجاني فتناولها تناول من يرى فيها اختياراً حراً من المبدع يعتمد إليه ابتغاء مطالب فنية وأغراض بلاغية لا تكاد تنتهي تلك هي أراء الإمام حول روافد التقديم والتأخير، وبيان أهمية تلك الروافد كما نستنتج أن ترتيب التقديم والتأخير عند الجرجاني على هذا النحو وانفراده بهذا الترتيب دليل على براعته فالجرجاني عودنا في كتابه ألا يأتي شيء اعتباطاً.

¹ محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، د.ت.ح، ط1، بيروت،

1992م، دار الجيل ص 126.

ومن أهم الجزئيات المتعلقة بجهود الجرجاني في مسألة التقديم والتأخير في كتابه "دلائل الاعجاز" والتي انطلق فيها من أساس نحوي فلسفي واستطاع توظيف كل ما لديه من معارف لخدمة هدفه النبيل وهو التأصيل لنظرية النظم وقد تأتي ذلك له بالفعل¹.

2- الفصل والوصل: ظاهرة الفصل والوصل عند عبد القاهر ظاهرة تشتد على التكامل والانسجام بين النحو والبلاغة وارتباطهما في تحديد نظريته في النظم إلى درجة يصبح معها النحو بلاغيا والبلاغة نحوية.

فالفصل في الجمل وتورك العطف بين بعضها البعض يدخل في نطاق البلاغة النحوية وهو يكون على ضربين: اتصال إلى غاية في جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف لشبه العطف فيها، لو عطفت، بعطف الشيء على نفسه.

والوصل في الجمل المعطوف بعضها على بعض يكون لما هو واسطة بين الأمرين ويدخل في نطاق النحو البلاغي وهو على ضربين²: أحدهما: الوصل في الجمل التي لها محل من الإعراب ويكون وجه الحاجة فيها إلى الواو وظاهرا والاشتراك بها في الحكم موجودا لأنه يكون حكما نحويا مستقادا من عطف المفرد على المفرد.

¹ علوش علي، التقديم والتأخير في المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، الجزائر، مجلة الممارسات اللغوية، 2011، العدد 03 (سبتمبر 2021) ص96.

² نفسه، ص 234.

المبحث الثالث: ماهية المقام وأصوله في الفكر البلاغي

المطلب الأول: تعريف المقام لغة واصطلاحاً

أ- لغة: أطبقت المعاجم العربية على أن مدلول لفظ مقامه يعني المجلس من حيث هو المجلس أو الجماعة من الناس نجد ذلك في لسان العرب لابن منظور وفي أساس البلاغة للزمخشري وفي سواها من أمهات المعاجم العربية¹

في لسان العرب لابن منظور:

مقام من [ق.و.م] والمقام والمقامة المجلس ومقامات الناس مجالسهم²

• وقد عرفه الخليل بن أحمد الفراهيدي أن المام كقوله: "موضع القدمين،

والمقام والمقامة الموضع الذي تقيم فيه وتقول: قمت قياماً ومقاماً"

وورد في لسان العرب لابن منظور أن المقام: "موضع القدمين مستشهدا يقول

الشاعر:

هذا مقام قدمي رباح غُذوة حتى دلتك براح

والمقام والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه: والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام، لأنك إذا جعلته من مقام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم، لأنه مشبه ببنات الأربعة نحو دحرج وهذا مُدحرجا وقوله تعالى: "لا مقام لكم"، أي لا موضع لكم وفري لا مقام لكم، بالضم، بمعنى لا إقامة لكم، قال تعالى: "حسننت مستقرًا ومقامًا" ويقول لبيد:

عفت الديار: محلها فمقامها يمني تأبد غولها فرجامها.

¹ عبد المالك مرتاض فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع—الجزائر 1980، ص9.

² ابن منظور: لسان العرب دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 2004م، مجلد 12، ص 228.

ويعني: الإقامة، وقوله عز وجل: "كم تركوا من جنات وعيون-وزروع ومقام

كريم" وقيل المقام الكريم هو المنبر وقيل المنزل الحسنة¹.

ب-اصطلاحاً: ويراد بالمقام في اصطلاح اللغويين بعامة الموقع أو الموضع حيث أشار إليه الدسوقي في حاشيته على السعد لقوله: "مقامات الكلام الأمور المقتضية لاعتبار خصوصية ما في الكلام" ثم واصل كلامه بقوله: "وإذ اختلفت المقامات لزم اختلاف الأسباب في الاقتضاء يوجب اختلاف المسببات" ثم أورد لنا **مصطلح الحال الذي يقترب من مفهوم المصطلح المقام غير أن هناك فروق جوهرية بينهما،** إذ الحال أمر يقتضي أن يؤتى بالكلام على صفة مخصوصة تناسبه كالإنكار مثلاً إذا اقتضى أن يورد الكلام مع صاحب ذلك الإنكار مؤكداً، فالكلام الموصوف بالتأكيد مقتضاه فمثلاً كون المخاطب منكراً للحكم حال، يقتضي تأكيد الحكم والتأكيد مقتضى الحال وقولك: إن زيدا في الدار مؤكداً بأن كلام مطابق لمقتضى الحال ولكل مقام مقال كما قالت العرب فمقام الهزل يباين مقام الجد وكذا مقام الكلام ابتداء يباين مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يُغايِر مقام البناء على الإنكار وهذا معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغايِر مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر كما يقترب من مفهوم المقام مصطلح الحال فهما في مفهوم البلاغيين مرتبطان بالبعد الزماني والمكاني للكلام وذلك أن الأمر الذي يدعوا المتكلم إلى تقديم صياغته على وجه معين إما أن يتصل² بزمن هذه الصياغة فيسمى "الحال" وإما لأن يتصل بمحلها ويسمى المقام ومن هنا ارتبطت فكرة الحال والمقام بالمقال

¹ فاتح زيوان، خصوصيات المقام في الخطاب عند القدماء في ضوء الدراسات الحديثة، الجزائر، 2008، مجلة البحوث والدراسات العدد 4، ص 64.

² نفسه، ص 64.

وساوى صاحب كتاب (مواهب الفتاح) بين المقام والحال ورأى أن لا فرق بينهما بقوله: "فتقرر بهذا أن المقام والحال شيء واحد وكذا الاعتبار ومقتضى الحال وأنه لا فرق بين المقام والحال الحقيقي"

فالمقام عامة يعني تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها... ومعنى هذا أن المقام أو السياق تجسيد لتلك التشعبات اللغوية في شكل الخطاب من وحدات صوتية وصرفية ومعجمية وما بينهما من ترتيب وعلاقات تركيبية ويلتقي مصطلح السياق بمصطلح المقام ليقع بينهما نوعاً من الالتباس إلا أن الحد الفاصل بينهما ممتد بين زمنين وثقافتين ذلك إن العرب قديماً كانت تستعمل مصطلح المقام بدلاً من السياق فشاع عندهم وبخاصة في الدراسات البلاغية¹.

المطلب الثاني: مرادفات مصطلح المقام عند البلاغيين:

1-السياق: يمكن السياق الباحث من معرفة المعنى المراد خاصة إذا كانت الكلمات غير مضبوطة بالحركات التي تساعده على فهمها وتعد الكلمة مورثاً رشيقاً للحركة من النصوص فهي تقبل تغيير هويتها وجهتها حسب ما هي فيه من سياق، وربما هذا ما دفع "جون ليونز" إلى القول "أعطني السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة وسأخبرك عن معناها"²، إذن فالكلمة يتحدد معناها من خلال السياق التي ترد فيه حيث أن للكلمة استعمالات سياقية وكل سياق يظهر أو يحدد أحد هذه المعاني أو وجهها منها.

وكما يقول الفيلسوف الألماني "فتجينشتين" معنى الكلمة يكمن في استعمالها في اللغة ويقول أيضاً لا تسأل عن المعنى ولكن سل عن الاستعمال³.

¹ فاتح زيان: خصوصيات المقام في الخطاب عند القدماء في ضوء الدراسات الحديثة، ص 65.

² بوجاري عماد: سبع الكهان، مذكرة ماجستير، إشراف علي منصور دفعة 2009-2010 ص 86.

³ محمد محمد داود: العربية وعلم الحديث، دار الغريب للطباعة والنشر -قاهرة- 2001 ص 197.

ويذهب "مارتيني" أبعد من ذلك ورأى خارج السياق لا تتوفر الكلمة على المعنى¹

فلقد تجاوز الباحثون التعريف النموذجي إلى التعريف الأكثر شمولاً لمصطلح السياق فأصبح يعرف مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام... وتسمى هذه الظروف في بعض الأحيان بالسياق².

انتهى علماء اللغة العرب والأصوليون قبل أن يقرر البحث اللغوي المعاصر نصرية السياق إلى التنبه إلى جملة من الحقائق المتصلة بقوام يعده النصرية فابن القيم الجوزية [751هـ] من علماء اللغة والنحو والأصول يقول: "السياق يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل..." وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته إلى قوله تعالى: "دق إنك أنت العزيز الكريم" سورة الدخان 49، كيف تجد سياقه يدل على أنه الدليل الحقيق³.

2- مقتضى الحال: الحال (المقام) هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية في التركيب المقتضى (الاعتبار المناسب) هو الصور المحصورة التي تورد عليها العبارة مقتضى الحال هو إيراد الكلام على صورة الأطناب مطابقة للمقتضى.

وكذا كون المخاطب منكراً يوم البعث حال يقتضي التأكيد، والتأكيد مقتضى وكونك تخاطبه بقولك: "إن يوم الساعة لا شك فيه" مطابقة لمقتضى الحال، وهكذا

¹ عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي اتحاد الكتاب العرب، دمشق-2001، ص88.

² عبد الهادي بن ظافر الشهيري: إستراتيجيات الخطاب، ص 41.

³ خالد عبود حمودي الشخي، الجامعية المستنصرية، نظر في نظرية السياق دراسة بين القدماء والمحدثين، ص9.

مقام الذكي يخالف في الخطاب مقام الغبي، ومقام الذكر يباين مقام الحذف لأن لكل منهما من الاعتبارات واللطائف وما يخالف ضده¹

وهو أن يكون الكلام مطابقاً للحالة التي يتحدث عنها ومناسبا للموقف الذي يتحدث فيه وقد اهتم العرب بذلك منذ القديم، فقال الحطيئة:

تَحَنُّنٌ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَاِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا²

وتحدث عنه النحاة والبلاغيون وقالوا ان خير الكلام ما كان مطابقاً لمقتضى الحال وقالوا ان لكل

مقام مقالاً، إلى غير ذلك من الأقوال التي تقدمت في "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"³

3-مقتضى الظاهر: الأصل في البلاغة أن يرد على مقتضى الظاهر مراعاة لمقتضى الحال، ومعنى ورود الكلام على هذه الصورة أن يكون مطابقاً للحالة التي يتحدث عنها، ومناسبا للموقف الذي يحدث فيه، وقد اهتم العرب بذلك منذ القديم وتحدث عنه النحاة والبلاغيون، وقالوا: "إن لكل مقام مقال"⁴

قسم البلاغيون الخبر ثلاثة أقسام بناء على ما يشتمل عليه من مؤكدات، فضلاً عن مراعاة حال المخاطب، فإذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم والتردد فيه استغنى المتكلم عن المؤكدات، ويسمى الكلام حينئذ (كلاماً ابتدائياً)، وإن كان متردداً في الحكم حَسُنَتْ تقويته بمؤكد واحد ويسمى الكلام (كلاماً طيباً) وإن كان

¹ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، البيان والمعاني والبيدع، د. تح، ط01، بيروت-لبنان، 2006م، الدار العربية للموسوعات، جزء 03، ص296.

² أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.تح، ط01، بيروت-لبنان، 2006م، الدار العربية للموسوعات، جزء 03، ص296.

³ المرجع نفسه، ص297.

⁴ مصطفى الضايغ، مجلة جامعة حماة، خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، نماذج من التفسير القرآني، 2020، مجلد3، العدد11، ص179.

مُنكَرًا للحكم وجب توكيده حسب الإنكار، وفي هذه الحال يسمى الكلام (كلاما انكاريا) وفي مجيء الخبر على هذه الطريقة يعني أنه قد جرى على مقتضى الظاهر، يقول الميداني: إذا وردنا الخبر اخالي ذهن مجردًا من المؤكدات، وللمترد الشاك مقرونا ببعض المؤكدات استحسانا، وللمنكر مقرونا بالمؤكدات بحسب درجة انكاره وجوبا بلاغيا، كان إيرادنا الخبر جاريا على مقتضى الظاهر، وهذا يسمى: إخراج الكلام على مقتضى الظاهر¹

ومقتضى الظاهر: وهو أن يكون الكلام مطابقا للواقع أو أن تؤدي الجملة والعبارات المعنى الذي تحمله الألفاظ أي ليس فيها تأويل وتوجيه غير ما تدل عليه الكلمات أو الكلام في الظاهر. وقد يخرج الكلام على ذلك فيقال: "إنه خرج على مقتضى الظاهر، ومن ذلك الالتفات والقلب والأسلوب الحكيم وغيرها ولها في هذا المعجم مواد

4-المقام: خص مصطلح المقام بالدراسة من لندن علمائنا القدماء في مختلف مصنفاتهم النفسية، وذلك في أثناء تناولهم للظاهرة الكلامية مبرزين سمات وشروط التواصل بين المتخاطبين، كما عرضوا شتى التعريفات لهذا المصطلح، فقد ذكر الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) أن المقام: موضع القدمين، والمقام والمقامة؛ الموضع الذي تقيم فيه وتقول قمت قياما ومقاما، وورد في لسان العرب لابن منظور أن المقام موضع القدمين².

وساوى صاحب كتاب "مواهب الفتاح" بين المقام والحال ورأى أن لا فرق بينهما بقوله: "فتقرر بهذا أن المقام والحال شيء واحد، وكذا الاعتبار ومقتضى الحال شيء واحد وأنه لا فرق بين المقام والحال الحقيقي"

¹ مصطفى الضايغ: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر ، ص180.

² فاتح زيان، مجلة البحوث والدراسات، خصوصيات المقام في الخطاب عند القدماء في ضوء الدراسات الحديثة، عدد6، ص 63-64.

تخدم مصطلح المقام مخالفا العرب في تحديد مرجعيته ذلك إن المقام يمثل جملة الظروف والموقف الحافة بالمتكلم والخطاب والسامع فحتى يكون الكلام بليغا لابد أن يطابق تلك المقتضيات وتتم المطابقة بين اللفظ والمعنى والكلمة والمتكلم والسامع والظروف المحيطة بالخطاب وهو استعمال في نظر مناسب، حيث راجع استعماله من لدن البلاغيين والنحويين العرب قديما، وهو كما يقول الشريف الجرجاني ت 816هـ: "من اصطلاح أهل الحقيقة عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به تطلب، ومقاساة تكلف، فمقام كل واحد موضع إقامته عن ذلك" ويقصد بالمقام زمان ومكان الحدث التواصل وكذلك العلاقات الفيزائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإماءات وتعبيرات الوجه¹ ويتكون المقام من مجموعة من العناصر نذكر من بينها:

- شخصية المتكلم والسامع وتكونها الثقافي؛
- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة بالعلاقة؛
- أثر النص الكلامي في المشتركين، كالإقناع، الألم، الإغراء، الضحك؛
- الزمان والمكان معرفة الزمان والمكان الذين ورد فيهما الحدث اللغوي²؛

المطلب الثالث: المقام عند علماء البلاغة

تعد فكرة السياق أو المقام الحجر الأساس لإثبات الصفة الاجتماعية لدى لغة من اللغات وعليه فإننا إذا ما استطعنا إثبات وعي العرب القدماء بفكرة المقام ومدى تأثيرها على اللغة سواء من حيث الدلالة أو من حيث القواعد [النحو]، نكون قد أثبتنا النظرة الاجتماعية للغة التي كانوا يتوافقون عليها.

¹ فاتح زيوان، مجلة البحوث والدراسات، خصوصيات المقام في الخطاب عند القدماء في ضوء الدراسات الحديثة ، مصدر سابق، ص 65-66.

² محمد داود وإكرام زين العابدين الطيب، مجلة العلوم، والبحوث الإسلامية، سياق المقام وأثره في توجيه دلالة النص، العدد 6 ص 4-5.

ورغم أن فكرة المقام عند العلماء القدامى عمومًا والبلاغيين خصوصًا جاءت بمفهوم سُكوني قالبِي نمطي مجرد، كما يرى تمام حسان، إلا أنها كانت حاضرة بقوة تحت مسميات مختلفة مثل [مراعات المخاطب] أو [الغرض] أو [الحال].

فهذا "أبو هلال العسكري" يقول: "وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوق، والبدوي بكلام البدوي ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتعد منفعة الخطاب"¹

و"ابن السراج" في باب ربُّ يعطي تفسيراً لورود هذا الحرف-وهو حرف جر لا يستقل بنفسه-في صدر الجملة، وكان الأصل أن يتعلق بفعل يربطه بالاسم المجرور شأن حروف الجر كلها، ولا كنها لما حملت معنى التقليل شابهت (كم) فأعطيت حكمها (صدارة الجملة)، ولكنه لا يكتفي بهذا التفسير العقلي، بل يورد تخريجاً آخر يعتمد السياق وملابسات المقام حيث يقول: "والنحويون كالمجتمعين على أن (رب) جواب إنما، تقول، ربُّ رجل عالمٍ، لمن قال رأيت رجلاً عالمًا، أو قدرت ذلك فيه، فتقول: رب رجل عالم، تريد: رب رجلٍ عالم قد رأيت".

ويعطي رأيه بترجيح التفسير الثاني حين عرض اختلاف النحويين في الواو التي تأتي قبل ربُّ، فقوم قالوا إنها خلق من ربُّ، وقوم قالوا إنها للعطف تدخل على حروف الاستفهام وغيرها فقال ابن السراج: "وهي عندي واو العطف، وهذا أيضا مما يدل على أنا ربُّ جواب وعطف على كلام"²

كما جاءت الإشارة إلى المقام في باب الحال خاصة حين لا يتعين صاحبها هل هو الفاعل أو المفعول في مثل قولنا: ضربت زيدًا قائمًا، فالجملة تحتل

¹ بلقاسم حمام، فكرة المقام في النحو العربي، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية العدد 11، ص127.

² المرجع نفسه، ص131.

الوجهين ولكنك إذا أردت أن تعيد الحال على غير الملاصق لها فلم يجر ذلك إلا أن يكون السامع يعلمه كما تعلمه أنت فإن كان غير معلوم لم يجر.

وهذا "ابن الأنباري" [ت577هـ] يوظف فكرة المقام ليفسر لنا قولهم: "حينئذ الآن" وذلك حين عرض اختلاف المدرستين البصرية والكوفية في رافع الاسم بعد لولا.

قال: وكذا قالوا إذ حينئذ الآن، تقديره واسمع الآن، ومعناه أن ذاكرنا ذكر شيئاً فيما مضى يستدعي في الحال مثاله فقال له المخاطب حينئذ الآن، أي كان الذي تذكره حينئذ، واسمع الآن، أو دع الآن ذكره، ونحو ذلك من التقدير وكذلك قالوا ما أغفله شيئاً وتقديره: أنظر شيئاً، فحذف والحذف في كلامهم لدلالة الحال وكثرة الاستعمال أكثر من أن يحصى فدل على أن الفعل محذوف هاهنا بعد لولا وأنه اكتفى بـ لولا على ما بيننا، فوجب أن يكون مرفوعاً¹

وإذا ما استقرينا نصوص النحاة القدماء وقد أوردنا منها جانباً إتضح لنا أن مفهوم المقام عندهم يتكون من مجموعة من العناصر وهي:

- المخاطب: علمه، جهله، شكه، حالته؛
- معرفة المتكلم بالمخاطب؛
- غرض المتكلم؛
- النبر والتنغيم؛
- الإشارة وملامح الوجه؛
- ما يحيط بطرفي العملية التواصلية؛

¹ ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1996، ج1، ص67.

الفصل الأول:
مفهوم المقام عند
السكاكي من خلال
كتابه مفتاح العلوم

أولاً: ترجمة للإمام السكاكي:

1-مولده ونسبه: هو سراج الدين يوسف بن أبي بكر محمد بن علي أبو يعقوب

السكاكي الخوارزمي¹.

في قرية من قرى خوارزم ولد السكاكي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأولى سنة 555هـ (1160) في عهد سلطان الرابع للدولة الخوارزمية أيل أرسلان بن أترز، وقد أجمع المؤرخون على أنه ولد في هذا العام ولم يشذ عنهم إلا ياقوت الحموديا الذي ذكر أن السكاكي ولد سنة 554هـ ولعل هذه الرواية أقرب إلى الصحة لأن الحموديا كان معاصراً له عندما كتب معجم الأدباء فقد قال عنه "وهو اليوم حي ببلده خوارزم"² معجم الأدباء ج 20 ص 59.

وقد ذكر مصطفى بن محمد البناني أن نسبته إلى سكاكة قرية بنيسابور، وقيل بالعراق، وقيل باليمن ولكن هذه النسبة غير صحيحة لأن السكاكي لم يولد في نيسابور ولا في اليمن أو العراق، وإنما ولد في خوارزم.

ونرجع أن نسبته كانت إلى صناعة السكة لأنه كان صانعاً يشتغل بالصناعات الحديدية اليدوية كما يتضح من القصة التي رويت عن اهدائه محبرة من صنع يده لملك زمانه. ويؤيد زعمنا ما ذكره السيوطي عنه قال: "السكاكي -بفتح والتشديد- يسميه أبو حيان في الارتساف ابن السكاك فهو إلى جده وكأنه إلى صناعة السكنة التي يضرب بها الدراهم" وإلى هذا الرأي ذهب "كرنكو" في دائرة المعارف الإسلامية.

واشتهر أبو يعقوب بهذا اللقب حتى صار الذهن لا ينصرف إلى غيره عندما يطلق مع أن غيره يحملون هذا اللقب فهو يطلق على شاعر تركي اشتهر في بلاط التيمور بين سمر قند عاش في القرن الرابع عشر الميلادي وعلى الميرزا أبي تراب المير مرتضى الحسيني المتوفى سنة 1303هـ³.

¹ أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، دتح، ط1، بغداد، 1384-1964، مكتبة النهضة، ص 47.

² نفسه، ص 46.

³ أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ص 47-48.

2-نشأته وحياته: أما حياته إنها غامضة غموضا يكاد يكون تاما وما تروي

المصادر أنه كان في أول أمره حدادا وبقي كذلك حتى جاوز الثلاثين ثم انصرف إلى العلم انصرافا كلياً، يقول صاحب كتاب "روضات الجنات" نقلاً عن كتاب "زينة المجالس" في باب ثبات النية واستقامة العزيمة: والإمام السكاكي كان من جملة فضلاء الدهر والعلماء العالية المنزلة وكان مبدأً أمره حدادا فعلم بيده محبرة صغيرة من حديد وجعل لها قفلاً عجيباً ولم يزد وزن تلك المحبرة وقفلها عن قيراط واحد وأهداها إلى ملك زمانه ولما رآه الملك وندمائه مجلسه الرفيع لم يزدوا على الترحيب بالرجل على صنعة فاتفق أنه كان واقفاً في الحضور إذ دخل رجل آخر فقام الملك احتراماً لذلك الرجل وأجلسه في مقامه فسأل أنه لو كان من هذه الطائفة لكان أبلغ إلي ما كان يطلبه من الفضل والشرف والقبول.

أخذ لقبه وإنه لم ينصرف إلى العلم إلا بعد فترة متأخرة من عمره قد تكون في الثلاثين كما تروي القصة أو في غير الثلاثين.

5-ثقافته وآثاره: لم تكن ثقافة السكاكي وليدة صباه، وإنما كانت وليدة العقد الرابع من

عمره، فهو-كما تقدم-لم ينصرف إلى العلم إلا بعد أن بلغ الثلاثين، وكان انكبابه على العلم وانصرافه للتحصيل عظيمين، حتى استطاع بعد مدة أن يتبحر في العلوم المختلفة، وإن يحذف فيها، ولاسيما علوم اللغة العربية وكانت ثقافته ثقافة أبناء عصره، وهي دراسات قرآنية وفقهية ولغوية إلى جانب دراسة المنطق وعلم الكلام اللذين كان لهما رواج في عصره. وكان السكاكي نفسه يرى أن المثقف من ملأ بعلوم القرآن والسنة، عارفاً علم اللغة والاشتقاق والصرف والنحو والمعاني والبيان والعرض والأصول والاستدلال.

6-مؤلفاته: أما مؤلفاته فلم يطبع منها إلا كتاب "مفتاح العلوم" ولا ندري هل لبقية

مؤلفاته وجود في زوايا المكتبات الخاصة والعامة، أو أنها ذهبت مع ما ذهب من تراثنا يوم اجتاحت البلاد عاصفة هوجاء.

ويذكر السكاكي أن له كتاب "شرح الجمل" للإمام عبد القاهر الجرجاني، وهذا الكتاب الوحيد الذي ذكره المؤلف أما الآخر فلم يذكرها ولم يشر إليها ولكن المؤرخين يذكرون له كتباً غير هذين الكتابين هي:

كتاب "التبيان": وقد ذكره ابن خلدون وهو يتحدث عن "مفتاح العلوم"، يقول: "ولخصوا منه أمهات هي المتداولة لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيان". ورسالة في علم المناظرة ذكرها جرجي زيدان وقال إن منها نسخة في "منشن" وذكرها الزركلي في الإعلام وكتاب "الطلمس" وهو باللغة الفارسية ذكره صاحب روضات الجنات، ومؤلف هدية العارفين والحاج خليفة

هذه كتب السكاكي التي ذكرتها المصادر وليس يهمنها من أمرها إلا كتاب مفتاح العلوم لأنه أهمها، ولأنه الكتاب الوحيد المطبوع...¹

ثانياً: علم المعاني عند السكاكي

اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكيب الكلام، التراكيب الصادرة عن له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء، لا الصادرة عن سواهم، لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق، وأعني بخاصية التركيب بما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريًا مجرى اللازم له، لكونه صادراً عن البليغ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو أو لازماً له هو حينئذ، وأعني بالفهم، فهم ذي الفطرة السليمة، مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب: إن زيد منطلق إذ سمعته عن العارف بصياغة الكلام، من أن يكون مقصوداً به نفي الشك أو رد الإنكار أو من تركيب: زيد منطلق من أنه يلزم أنه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار أو نحو: منطق ترك المسند إليه، من أنه يلزم يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها، وكذا إذا لفظ بالمسند إليه، وهكذا إذا عرف أو نكر، أو قيد أو أطلق، أو

¹ أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ص 60.

قدّم أو آخر، على ما يظلمك على جميع ذلك شيئاً فشيئاً مساق الكلام في العلمين بإذن الله تعالى¹

فعلم المعاني عند السكاكي وتلاميذه كما يبدو من التعريف يدور على الجملة فيبحث ما فيها من حذف أو ذكر وتقديم أو تأخير وتتكير أو تعريف والفرق بين الجملة الاسمية والفعلية ولا يخرج إلى أكثر من الجملة إلاّ عند البحث في الفصل والوصل والايجاز والاطناب ويرى السكاكي أن علم المعاني واسع جداً ولا يمكن الإحاطة به أبداً وذلك لأن مبناه على التتبع لتراكيب الكلام واحداً فواحداً والعثور على ما لكل منها من لطائف النكت مفصلة لا تتم الإحاطة بها إلاّ لعلام الغيوب ولا يدخل كنهه بلاغة القرآن إلاّ تحت علمه الشامل وهذا الرأي قد جهز به عبد القاهر الجرجاني من قبل ورد على الدين صغر أمر التقديم والتأخير وغيرهما من موضوعات [النظم] في أنفسهم.

الخبر والطلب: وهذان المصطلحان ظهرا مند زمن مبكر على يد المتكلمين ولا نستطيع أن نقرر أنهما منقولان عن اليونان أو تنفي النقل فقد تكلم عليهما أرسطو كما تكلم عليها النظام والجاحظ ومعظم المعتزلة وأصحاب علم الكلام وقد تحدد معنى هذين المصطلحين تحديداً نهائياً على يدي السكاكي فأطلق الخبر على ما يحتمل الصدق والكذب وحصر بحوثه في اعتبارات الإسناد الخبري والمسند إليه والمسند واعتبارات الفصل والوصل والايجاز والاطناب وأطلق الطلب على ما لا يحتمل الصدق والكذب وحصر بحوثه حصراً عقلياً وعلى كل حال فلم يبحث السكاكي إلاّ النوع الأول من الإنشاء ولذلك أطلق على موضوعاته مصطلح "الطلب" أما النوع الثاني فلم يشر إليه ولعله كان يرى أن هذا النوع من الإنشاء ليس إلاّ خبراً نقل إلى أسلوب الإنشاء فأهمّل ذكره وقد زاد النقاش والجدل بعده في هذا الموضوع ويتجلى ذلك في معظم شروح تلخيص مفتاح العلوم².

¹ الامام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دتج، ط1 وط2، بيروت لبنان، 1983م-1987م، دار الكتب العلمية، ص167-168.

² أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ص305-306.

المسند والمسند إليه: للجملة العربية خبرية كانت أم انشائية ركنان هما: المسند إليه والمسند وهذان الركنان عند النحاة هما المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل وملحقاتهما¹ وقد استند السكاكي في تقسيم موضوعات الخبر على ركني الجملة المسند والمسند إليه وبذلك قتل الروح الأدبية ووحدة الموضوع في البلاغة فهو يذكر في الركن الأول مثلاً الحالات المقتضية بذكره أو طيه أو تقديمه أو تأخيريه أو قصره وما إلى ذلك، ويعود يذكر هذه الحالات في بحث الركن الثاني، وبهذه الطريقة مزق الموضوعات تمزيقاً ذهب بكل رونق البلاغة وبهائها وفائدتها

وقد يسمي السكاكي المسند إليه: "المحكوم له" ويسمي المسند "المحكوم به" في كثير من الأحيان.

مصطلحات المعاني الأخرى: أما مصطلحات المعاني الأخرى: أما مصطلحات علم المعاني الأخرى فهي نحوية بحثة أخذها علماء البلاغة من النحاة وتابعهم السكاكي في ذلك فالتقديم والتأخير ذكره المتقدمون كالفراء الذي قال في تفسيره قوله تعالى: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ" سورة آل عمران الآية 55.

وذكره أبو عبيدة في مواضع كثيرة من "مجاز القرآن" وذكره غيره من البلاغيين والاستفهام وخروجه عن معناه ذكره الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة وذكره خروجه إلى التقرير والتعجب والتوبيخ والتهديد وغيرها.

وذكر الجاحظ الفصل والوصل في تعريفه الفارسي للبلاغة فقد قيل للفارسي ما البلاغة، قال: معرفة الفصل من الوصل، وذكر غيره من علماء البلاغة كصاحب نقد النثر وأبي هلال العسكري وعبد القاهر.

ونستطيع أن نقول هنا أن السكاكي لم يهتم كثيراً بتحديد مصطلحات علم المعاني لأنها كانت متداولة معروفة في كتب النحو والبلاغة وغيرها ولأنها استعملت في كتب التفسير الأولى.

¹ أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي ، ص306.

وليس للسكاكي في تحديد هذه المصطلحات جهد لأنه لم يعمل شيئاً مهماً في تحديدها وكل ما فعله هو حصر مباحثها وتهذيب مسائلها وتمحيصها. وقد كانت جهده في تحديد مصطلحات البيان وأوضح وأهم وأفضل في المنطق¹

ثالثاً : أصول المقام عند السكاكي

بدأ السكاكي المتوفي سنة 626 هـ حديثه عن المقام بتأكيده لفكرة مقتضى الحال التي جعلها شرطاً أساسياً في وضوح الكلام ونجاعة الدورة المتواصلة في قوله : " ولا يتضح الكلام في جميع ذلك اتضاحه إلا بالتعرض لمقتضى الحال " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكائية، ومقام التهنة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبي، ولكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر

ثم إذا شرعت في الكلام فكل كلمة مع صاحبها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال، فإن كان مقتضى الحال اطلاق الحكم، فحسن الكلام تحليلية بشيء من ذلك بحسب مقتضى ضعفاً وقوة، وإن كان مقتضى الحال في ذكر المسند إليه، فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذا إن كان مقتضى ترك المسند، فحسن الكلام وروده عارياً عن ذكره، وإن مقتضى اثباته مخصصاً بشيء من التخصيصات، فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها، وكذا إن كان مقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها، والإيجاز معاً أو الاطناب، أعني طي جمل بين

¹ أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ص 307-308.

البين طيها، فحسن الكلام تأليفه مطابقاً لذلك، وما ذكرناه حديث إجمالي لأبد من تفصيله فاستمع لما يتلى عليك بإذن الله¹

وهذا السكاكي يستعمل المقام للدلالة على الغرض في قوله : " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنية يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم ... ولكل من ذلك مقتضى غير ممقتضى الآخر"

وقد يعبرون عن المقام بالحال " والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى التعلم على وجه الخصوص، أي الداعي إلى أن يعبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصيته، ماهي المسماة بمقتضى الحال، مثلاً كون المخاطب منكراً للحكم، حكم يقتضى به تأكيد الحكم، والتأكد مقتضاها"

ونحن نقرأ أن مفهوم المقام (السياق أو الحال) عند القدامى ضيق إذا ما قورن بمفهوم المحدثين

ولكن ذلك لا ينبغي أن يتسع مفهومه عنده ليشمل : " مجموعة الاعتبارات والظروف التي تصاحب النشاط اللغوي، ويكون لها تأثيرها في ذلك النشاط من خارجه، بحيث لا تتحدد دلالة الكلام أو تتجلى مزاياه إلا في ظلها، وفي ظل ارتباطه بها"

وبما أن هدفنا في هذه السطور هو اثبات النظرية التداولية للغة عند العلماء القدماء ارتأينا أن نركز على علم يبدو لأول وهلة أبعد العلوم عن فكرة المقام، ألا وهو علم النحو، لأنه إذا ما ثبت بالدليل اعتماد النحاة على فكرة السياق أو المقام في تفسير الظواهر النحوية وتأسيس القواعد، أصبح اعتماد المجالات الأخرى على فكرة المقام أو الحال من باب أولى².

¹ الإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دتح، ط1، بيروت، لبنان، د.ت، دار الكتب العلمية بيروت، ص168-169

² بلقاسم حمام، فكرة المقام في النحو العربي، الجزائر، د.س، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 11، ص127-128

الخاتمة

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الكائنات محمد على آله وأصحابه الثقات، ها قد وصل بحثنا المتواضع الى نهايته ومن جملة النتائج التي توصلنا إليها:

- البلاغة العربية تركز على المقامات في كل تواصلاتها؛
- الدرس البلاغي مقصده الأساس والمنشود العملية المقاميّة من خلال التّقديم والتأخير؛
- السّكاكي من بين البلاغيين الذين ركزوا على المقام/ المقتضى الحال كونه الأساس في العملية التّليغيّة؛
- تختلف مسمّيات المقام بحسب توجّه البلاغي ومنهجه في دراسة المقام (مقتضى الظاهر/ المقام/ مقتضى الحال/ السّياق؛
- المقام يعمل على إبانة المعاني من خلال التّراكيب المختلفة، وهنا إشارة غلى علاقة التّركيب بالمعنى أو ما سمّاه الجرجاني بالنحو البلاغي/ النّظم.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المعاجم:

- 1- ابن منظور: لسان العرب دار صادر بيروت، لبنان ط3، 2004م، مجلد 12
- 2- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. تح، ط1، بيروت-لبنان 2006م، الدار العربية للموسوعات، جزء 03

الكتب بالعربية:

- 1- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، د. تح، ط1 بيروت-لبنان، 2006م، الدار العربية للموسوعات، جزء 03
- 2- أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، دتح، ط1، بغداد، 1384-1964، مكتبة النهضة.

- 3- الإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي مفتاح العلوم، دتح: ط1 وط2، بيروت لبنان، 1983م-1987م، دار الكتب العلمية.
- 4- بوجاري عماد: سبع الكهان، مذكرة ماجستير، إشراف علي منصور دفعة 2009-2010.

- 5- خالد عبود حمودي الشيعي، الجامعية المستنصرية، نظر في نظرية السياق دراسة بين القدماء والمحدثين.

- 6- اب السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط3، 1996، ج1

- 7- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة المعاني والبيان والبديع، تج يوسف صيلي، ط1، بيروت، 1999، المكتبة العصرية.

- 8- عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي اتحاد الكتاب العرب دمشق-2001.

- 9- عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع—الجزائر، 1980
- 10- عرفان مطرجي، الجامع لفنون العربية والعروض، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت 1407-1987
- 11- عبد عزيز عتيق، علم المعاني، ط1، 1430هـ، 2009م، دار النهضة العربية بيروت، لبنان
- 12- محمد داود وإكرام زين العابدين الطيب، مجلة العلوم، والبحوث الإسلامية، سياق المقام وأثره في توجيه دلالة النص، 20/3، العدد 6.
- 13- محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة، دار إعجاز القرآن، ط1، 1428هـ، 2007م
- 14- محمد عبد المنعم خفاجي، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، تح: ط1، بيروت 1992م، دار الجيل.
- 15- محمد محمد داود: العربية وعلم الحديث، دار الغريب للطباعة والنشر-قاهرة- 2001 .
- 16- مزيد إسماعيل نعيم، علم المعاني، 1981-1982 جامعة دمشق
- 17- مصطفى الضايغ، مجلة جامعة حماة، خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، نماذج من التفسير القرآني، 2020، مجلد3، العدد11.
- 18- معتز، البديع، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي، 1945م.
- 19- منير سلطان، البديع تأصيل وتحديد 1986 طبعة منشأة المعارف الإسكندرية
- 20- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ط1، درا الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ 1983م

المجالات:

- 1- بلقاسم حمام، فكرة المقام في النحو العربي، الجزائر، د.س، مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 11.
- 2- علوش علي، التقديم والتأخير في المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، الجزائر، مجلة الممارسات اللغوية، 2011، ع 03 (سبتمبر 2021).
- 3- فاتح زيوان، خصوصيات المقام في الخطاب عند القدماء في ضوء الدراسات الحديثة، الجزائر، 2008، مجلة البحوث والدراسات العدد 4

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ-هـ
الفصل الأول : ضبط المفاهيم	
المبحث الأول: ماهية علم البلاغة	6
المطلب الأول: تعريف البلاغة لغة واصطلاحاً	6
المطلب الثاني: نشأة البلاغة وتطورها	7
المطلب الثالث: علوم البلاغة العربية	11
المبحث الثاني: ماهية البلاغة في الفكر البلاغي	12
المطلب الأول: نشأة علم المعاني عند علماء البلاغة	12
المطلب الثاني: قضايا علم المعاني	13
المطلب الثالث: أثر عبد القاهر الجرجاني في قضايا علم المعاني	20
المبحث الثالث: ماهية المقام وأصوله في الفكر البلاغي	20
المطلب الأول: تعريف المقام لغة واصطلاحاً	20
المطلب الثاني: مرادفات مصطلح المقام عند البلاغيين.	22
المطلب الثالث: المقام عند علماء البلاغة.	26
الفصل الثاني : مفهوم المقام عند السكاكي من خلال كتابه مفتاح العلوم	
أولاً : ترجمة للإمام السكاكي	30
ثانياً : علم المعاني عند السكاكي	32
ثالثاً: أصول المقام عند السكاكي	36
الخاتمة	38
قائمة المصادر والمراجع	40
فهرس الموضوعات	44